

الصراع في كاراباخ... والتنافس الروسي- التركي في القوقاز أمل مناصرة

تقديم

شهدت العلاقات التركية-الروسية سجلاً حافلاً بالنزاعات منذ أن خاضت الدولة العثمانية والإمبراطورية الروسية قرابة 17 حرباً بين عامي 1568 و1917، فقد عرفت العلاقات التركية-الروسية خلال القرون الأربعة الماضية حروباً ونزاعات وتوترات كبيرة بسبب الصراع على النفوذ، وتجاورهما الجغرافي¹.

أدى انهيار الاتحاد السوفييتي السابق، ونهاية العالم ثنائي القطبية، إلى التأثير بمعظم سياسات الدول الخارجية، فالموقع الجغرافي لهذه الدول وأدوارها السياسية خلال الحرب الباردة، والتغيرات الإقليمية نتيجة انهيار حلف وارسو، هي إشارة لدرجة تأثير نهاية الحرب الباردة في كل دولة. بناءً على هذه المتغيرات، فقد لعبت تركيا دوراً مهماً في منطقة القوقاز، فالمتغيرات الإقليمية والدولية آنفة الذكر أثرت في السياسة الخارجية التركية وعلاقاتها الإقليمية، فالأخيرة وجدت نفسها محاطة بدول مستقلة حديثة في آسيا الوسطى والقوقاز عديمة الاستقرار كثيرة النزاعات².

من هذه النزاعات، النزاع الأرمني-الأذربيجاني حول إقليم ناغورني كاراباخ، أحد أبرز النزاعات المعقدة التي تتداخل فيها عدة أبعاد، منها العرقية والدينية، بالإضافة لميراث تاريخي من العنف والصدام، فخطورته تتمثل في تقاطعه مع نزاعات أخرى في مناطق مختلفة قريبة على نحو يزيد من حدة هذه النزاعات، بل ويزيد حدة التنافس بين القوى الإقليمية والدولية التي تعمل على تأكيد دورها من خلال هذه النزاعات، وهذا يجعل منطقة النزاع بؤرة من بؤر التنافس بين هذه القوى، على نحو يزيد من أمدته³. ومن هنا، تبحث هذه الدراسة في تاريخ النزاع الكاراباخى ودور كل من روسيا وتركيا فيه.

¹ عماد زاهراء، مستقبل العلاقات التركية-الروسية.. مجالات تقارب وقضايا خلاف، كلية الحقوق والعلوم السياسية الإدارية، الجامعة اللبنانية، 2018، ص 12.

² كوتشاك محمد، العلاقات التركية الروسية، مجلة رؤية تركية، ع27، شتاء 2017، ص9.

³ الخشيب جلال، إقليم ناغورني كاراباخ.. بين الإرث التاريخي القوقازي والحسابات الإقليمية التركية-الإيرانية، مجلة رؤية تركية، ع193، صيف 2016، ص 171.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة بفهم المتغيرات التي تجري في منطقة القوقاز في ظل تجدد النزاع الأرمني - الأذربيجاني وسيطرة الأخيرة على مناطق كبيرة من إقليم كاراباخ، كما أن أهمية الدراسة تحاول فهم سلوك كل من تركيا وروسيا إزاء تعارض المصالح في القوقاز.

مفاهيم الدراسة

- **ناغورني كاراباخ:** كلمة روسية تعني مرتفعات، وتعني في الوقت ذاته جبلاً. أما كلمة كاراباخ، فتعني الحديقة السوداء. ويطلق عليها الأرمن الذين يعيشون في الإقليم اسم "ارتساخ"⁴.
- **التعاون الإستراتيجي:** يعرف بأنه سمة دولة أو أكثر نحو تكوين علاقة تعاونية تبادلية بهدف الاستفادة من الموارد المشتركة، كما أن له العديد من المعاني والألفاظ (التعاون- التحالف- التنسيق- الاشتراك)، ويقصد به إحلال التعاون محل المنافسة التي قد تؤدي إلى خروج أحد الأطراف من السوق، إذًا، فالتعاون الإستراتيجي يكمن في روح التعاون ويركز على الثقة المتبادلة، ويسمح بالوصول إلى أهداف محددة باتفاق مشترك⁵.
- **الصراع:** وضع اجتماعي ينشأ حين يسعى طرفان أو أكثر لتحقيق أهداف متعاكسة. ويمكن ملاحظة الصراع في العلاقات الدولية، حيث يتجلى على شكل الحرب، وتنبثق المواقف العدائية عن النخب والجماهير الواعية عبر استعدادات نفسية مثل العدوان والشك⁶.

الدراسات السابقة

هناك العديد من الدراسات والمؤلفات التي تقاطعت جزئياً مع موضوع الدراسة، من أهم هذه الدراسات دراسة معمر فيصل خولي، بعنوان **العلاقات التركية الروسية: من إرث الماضي إلى آفاق المستقبل، بيروت، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014**، يتناول العلاقات التركية- الروسية في صعودها وهبوطها، وسياسات البلدين وتقاطعاتهما وافتراقاتهما، وعالج الباحث فرضية وجود علاقة بين تطور العلاقات التركية- الروسية بصورة إيجابية ورغبة البلدين المشتركة في تطويق الخلافات التي تحدث نتيجة التطورات الإقليمية والدولية.

⁴ الخشيب جلال، إقليم ناغورني كاراباخ.. بين الإرث التاريخي القوقازي والحسابات الإقليمية التركية- الإيرانية، مجلة رؤية تركية، ع 193، صيف 2016، ص 171.

⁵ حجاب عبد الحق، العلاقات التركية- الروسية بين الاستمرار والتغير 2002-2017، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد بوضياف- المسيلة، 2017.

⁶ عراهام إيفانز وجيفري نويهام، (2004) قاموس بنغوين للعلاقات الدولية، الإمارات، مركز الخليج للأبحاث، ص 129.

تتبع أهمية الكتاب من أنه يتناول بالبحث المعمق العلاقات التركية- الروسية في صعودها وهبوطها، وكذلك التقاطعات والافتراقات بين سياسات البلدين؛ ذلك أن العلاقات بين الدول لا تسير على خط مستقيم، وتطورها إيجابياً أو سلبياً يعتمد على طبيعة العلاقات الثنائية والتفاعلات الإقليمية والدولية ذات الاهتمام المشترك. ويشتمل الكتاب على ثلاثة أقسام: يبحث القسم الأول منها في تأسيس الشراكة في العلاقات التركية الروسية أثناء الفترة الممتدة ما بين عامي 2002_2004، ويبحث القسم الثاني في الشراكة المادية الملموسة بين عامي 2004 و2008، وهي تتضمن العلاقات الدبلوماسية وقضايا ومواقف محل اتفاق، إضافة إلى قضايا ومواقف محل خلاف في الفترة نفسها، والعلاقات الاقتصادية بينهما. أما في القسم الثالث من هذا الكتاب، فإن الباحث يسهب في الحديث عن تنوع المصالح في الفترة الممتدة ما بين عامي 2009 و2012، من الناحيتين الدبلوماسية والاقتصادية، وكذلك من حيث البحث في الموقف الأميركي من التقارب التركي الروسي.

أما قدورة عماد يوسف، فله دراسة بعنوان: **روسيا وتركيا علاقات متطورة وطموحات متنافسة في المنطقة العربية**، المركز العربي للأبحاث والدراسات، مايو 2015، ويقول الباحث فيها إنه على الرغم من إرث النزاع والتنافس على النفوذ الذي شهدته العلاقات الروسية- التركية منذ قرون، فقد شكلت الظروف الاقتصادية والمتغيرات السياسية التي تشهدها الدولتان منذ بداية القرن الحادي والعشرين فرصة لإعادة النظر في طبيعة علاقاتهما السابقة، فبوصفهما دولتين كبيرتين متجاورتين، وتبنيان إستراتيجية جديدة لاستعادة الدور الفاعل على الساحة الدولية وإحياء المكانة التاريخية، فقد تطلب صعودهما الاقتصادي، تعزيز التعاون بينهما بسبب وفرة المصالح المتبادلة وتنوعها. ويضيف الباحث أن شراكتهما قد تجلت في جوانب إستراتيجية عديدة، إلا أنه لم يبلغ طموحاتهما التاريخية في المنافسة والنزاع الإقليمي، فبسبب طبيعة مصالحهما التي تنطوي على تحالفات مع أطراف متناقضة، أصبح تعزيز دور أحدهما وعلاقاته يعني إضعافاً لدور الآخر ومصالحه. كما ناقش هذا البحث التقارب التاريخي الذي توصلت إليه روسيا وتركيا، ومجالات التعاون الإستراتيجي ومصالح الدولتين ومكاسبهما، والانعكاسات بعيدة المدى لهذا الترابط على سياسات الدولتين، ويفسر التناقض الظاهر بين العلاقات الثنائية المتطورة من جهة، وبين التنافس الإقليمي وتباين سياساتهما في المنطقة العربية من جهة أخرى.

أما في دراسة لقمان عمر محمود، تركيا وروسيا الاتحادية.. دراسة في العلاقات السياسية 2000-2009، مجلة دراسات إقليمية، العدد 21، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، فيتحدث الباحث عن دور الزيارات الرسمية المتبادلة بين الدولتين في تطوير تلك العلاقات، ونقلها إلى مستوى الشراكة الإستراتيجية، عبر الاتفاقيات التي وقعت بين البلدين، وكان آخرها ما تسمى

"الوثيقة الإستراتيجية" في شباط عام 2009، التي فتحت آفاقاً جديدة للتعاون الإستراتيجي بين الدولتين.

وأخيراً، فقد بحثت هذه الدراسة قضية النزاع الكاراباخ وسيطرة أذربيجان على مناطق أرمينية السيادة، وحاولت دراسة الأبعاد الإقليمية حول التغيرات الحاصلة على الإقليم سابق الذكر على علاقة كل من تركيا وروسيا. فتركيا تفضل تفاهات مباشرة مع روسيا، بما يخفض من مستوى التوتر معها، ويكون رافعاً لتقلها الإقليمي عموماً وفي القوقاز خصوصاً.

التعقيب على الدراسات السابقة

واجهت الباحثة مشكلة حقيقية عندما اصطدمت بواقع عدم وجود أي دراسة محكمة تتحدث حول مستقبل التنافس الروسي التركي في القوقاز، خصوصاً حول إقليم كاراباخ، حيث إن معظم الدراسات السابقة التي حصلت عليها الباحثة كانت مختلفة في طبيعتها عن هذه الدراسة، ولعل هذا هو ما يميز الدراسة الحالية، إذ إنه في ضوء العرض السابق للدراسات السابقة، تبين للباحثة أن هذه الدراسة تختلف في طبيعة الهدف من الدراسة، فغالبيتها الدراسات السابقة ركزت على مستقبل التعاون وأسباب التعاون، كما تحدثت الغالبية العظمى من الدراسات حول القضايا الخلافية في الشرق الأوسط وتغاضت عن التنافس بين الدولتين في القوقاز.

إشكالية الدراسة

كيف ستؤثر التغيرات الإقليمية في منطقة القوقاز وسيطرة أذربيجان على إقليم كاراباخ على مسار العلاقات التركية- الروسية؟

فرضية الدراسة

هناك علاقة تربط بين تركيا وروسيا تتسم بالتنافس والتعاون، فالعلاقة بينهما لا تقف عند البلدين، بل تتعداهما إلى أبعاد إقليمية ودولية بالغة الحساسية والأهمية، والفرضية تنطلق من القول إنه إذا تعارضت مواقف كل من روسيا وتركيا في القوقاز، فإن كلا البلدين سيحاول تجنب المنافسة المباشرة.

الإطار المنهجي للدراسة

المنهج التاريخي: يعمل هذا المنهج على جمع الحقائق وترتيبها، ومن ثم يساعد في تحليل الأحداث التاريخية التي جرت، وتفسيرها. فالتاريخ سجل لما حققه الإنسان، وهو سجل له دلالاته ومغزاه، وليس تسجيلاً لأحداث زمنية، وإنما تدرس الأفكار والأحداث في الحال الحاضر ومخلفات

الماضي وأثرها، ويعتمد على التصور الذهني والإبداعي، وقد ارتبط التاريخ قديماً بالعلوم السياسية، لأن المنشغلين بالتاريخ كانوا دائماً في حاجة للاطلاع على مجريات السياسة، بقدر ما كان المنشغلون بالعلوم السياسية بدورهم في حاجة دائمة للرجوع إلى الأصول التاريخية للمشكلات السياسية التي يعكفون على معالجتها⁷.

نظرية الدراسة

النظرية الواقعية (Realism Theory) : التي تعتبر أكثر النظريات اتصالاً بالواقع الدولي وتعتبر عن أوضاعه، وأن هناك تناسقاً بين المصالح. تعتبر هذه النظرية الدولة هي الفاعل الوحيد والأساسي في العلاقات الدولية، أما الفواعل ما دون الدولة، فأعطتهم أهمية ثانوية، بدليل أن العالم مكون من مجموعة دول، فالفاعل مقتصر على الدولة، وأنها فاعل عقلائي رشيد قادر على اتخاذ القرارات التي تخدم مصالحها. وتتنظر النظرية الواقعية إلى النظام الدولي على أنه نظام فوضوي، تعتمد فيه الدول على قدراتها من خلال عدم وجود سلطة عليا تحمي الأمن الدولي، ولا توجد دولة عالمية تحكم العالم، ونتيجة لغياب المؤسسات والإجراءات لحل النزاعات في العلاقات الدولية، فإن كل دولة تعتمد على ذاتها للحفاظ على أمنها، كما تلجأ للتحالفات لدعم قدراتها، كما ركزت على مفهوم المصلحة، وأن الدول تسعى إلى تحقيق مصالحها العليا المتمثلة في حفظ البقاء والأمن القومي. وتعتبر النظرية الواقعية الأساس النظري لهذه الدراسة، فمن ناحية، تركز هذه النظرية على مفهوم المصلحة، وهو بالفعل المفهوم الأساسي الحاكم لطبيعة العلاقات التركية- الروسية التي تحكمها العديد من المصالح، سواء الاقتصادية أو الأمنية. ومن ناحية أخرى، تركز النظرية الواقعية على مفهوم القوة الذي لا يعني القوة العسكرية بقدر ما يعني مدى قدرة كل دولة على ممارسة التأثير على الدول الأخرى، وهذا ما تعتمد روسيا، خاصة في سياستها الخارجية، في محاولة لاسترجاع مكانتها كقطب عالمي مؤثر في النظام الدولي⁸.

⁷ عبد الإله بنمليح ومحمد استيتو، *مناهج البحث في الإنسانيات والعلوم الاجتماعية.. البحث التاريخي* أنموذجاً، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2007، ص32-33.

⁸ أنور محمد فرج (2007)، *نظرية الواقعية في العلاقات الدولية.. دراسة نقدية في ضوء النظريات المعاصرة*، السليمانية، مركز كردستان للدراسات الإستراتيجية.

المحور الأول: مقدمة تاريخية

تكمّن أهمية إقليم كاراباخ في التموضع الجيوبوليتيكي وكذلك العسكري الذي يحظى به، ولا سيما بالنسبة لأطراف النزاع: المحلية (أرمينيا وأذربيجان)، والإقليمية ومنها (روسيا، وإيران، وتركيا)، فالإقليم يعد قاعدة عسكرية متقدمة بالمفهوم الأمني الصلب بالنسبة للطرفين المباشرين: أرمينيا وأذربيجان، وساحة عمليات أيضاً بالنسبة للداعمين الإقليميين أثناء الحرب. إن إلقاء نظرة عابرة على الموقع الذي يتبوأه أصحاب المصالح في هذا النزاع كفيل بفهم الأسباب التي أبقته أحد أكثر النزاعات استعصاءً على الحل إلى الآن، فالسبب يكمن في الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة القوقاز عموماً، التي تتوسط كلاً من روسيا "الشرق الأوسط" وآسيا الوسطى، وهو ما يجعل الإقليم جذاباً لكل القوى الخارجية المؤثرة: الإقليمية منها والدولية⁹. وتنشط في القوقاز كذلك جملة من الشركات النفطية الأجنبية التي تهدف إلى استثمار موارد الطاقة في أذربيجان، خصوصاً المطلّة على بحر قزوين، أحد خزانات الطاقة العالمية، على غرار بريتيش بتروليوم أو غيرها من الشركات الأميركية، والإيطالية، واليابانية، والتركية، وحتى الجورجية، وكلها ترجو إقليمياً مستقراً من الناحية الأمنية، بحيث يساعده الاستقرار على تسريع مشروعاتها هناك، كما تساعد الدول في حماية مشروعات خطوط الأنابيب المارة عبر الإقليم واستقلاليتها عن أي ضغوط قد تمارسها "أطراف معادية"¹⁰.

في عام 1805، استولت روسيا على الإقليم، وفي عام 1828، أنشأ القيصر مقاطعة أرمينية باستثناء كاراباخ. أثارت الثورة البلشفية عام 1917، العنف العرقي، وطالبت كل من أرمينيا وأذربيجان بكاراباخ. عام 1918، فرض السوفييت هيمنتهم على الجمهوريتين. في عام 1920، تم التنازل عن كاراباخ لفترة وجيزة لأرمينيا. وفقاً للأمر¹¹، في 4 يوليو 1921، في العاصمة الجورجية تبليسي، مكتب القوقاز للشيوعيين، أعاد حزب روسيا التأكيد على أن كاراباخ جزء من الاشتراكية السوفييتية الأرمينية، إلا أنه في ظل إملاء موسكو وتدخل ستالين المباشر، تمت مراجعة القرار ودمج المنطقة مع أذربيجان لتشكيل منطقة الأوبلاست المستقل¹².

⁹ Philip Gamaghelyan, **Intractability of the Nagorno-Karabakh conflict: A myth or a reality**, University for peace and conflict, Monitor, P: 04-05.

¹⁰ الخشيب جلال، مرجع سابق تم ذكره، ص 171.

¹¹ Migdalovitzk, (July 9, 2003), **Armenia-Azerbaijan Conflict**, congressional research service the library of congress, View date 3 nov 2020 link: https://www.everycrsreport.com/files/20030709_IB92109_040563c72e8a3154cf3834fbf6e8952da3e0040b.pdf

¹² Alvard Sargsyan, (27 Dec 2018), **The Nagorno Karabakh Conflict: An Inside View**, View date 3 nov 2020 link; <https://stratpol.sk/the-nagorno-karabakh-conflict-an-inside-view/>

في عام 1923، أصبحت المنطقة منطقة الحكم الذاتي لناغورني كاراباخ، وهي جزء من أذربيجان بدرجة من الحكم الذاتي. في عام 1987، التمس الأرمن في كاراباخ من الحكومة السوفييتية نقل المنطقة إلى أرمينيا، وتم فصل كاراباخ عن أذربيجان في 12 يوليو 1988، وأعلنت أذربيجان أن هذا العمل غير قانوني وفقاً لدستور الاتحاد السوفييتي، الذي نص على أن حدود الجمهورية لا يمكن تغييرها دون موافقتها. فرضت موسكو الأحكام العرفية على بعض المناطق، ونشرت قوات وزارة الداخلية في نوفمبر، وقوات الجيش في مايو 1989. في 1 كانون الأول (ديسمبر) 1989، أعلن مجلس السوفييت الأعلى الأرمني كاراباخ جزءاً من أرمينيا¹³.

مع نهاية عام 1991، تحركت أرمينيا جنباً إلى جنب مع قوات الدفاع الكاراباخية واحتلت هذه القوات بين سنتي 1992-1993، سبع مقاطعات من أذربيجان المجاورة لكاراباخ¹⁴. وفي عام 1992، انسحبت قوات وزارة الداخلية السوفييتية من المنطقة، فكان ما ميز الحرب عام 1992، هو مذبحة مئات المدنيين الأذريين في خوجالي شمال كاراباخ، وسيطرت أرمينيا على ممر لاشين الذي يبلغ طوله ستة أميال بين كاراباخ وأرمينيا¹⁵.

في عام 1994، تم تشكيل مجموعة ثلاثية (روسيا، وفرنسا، والولايات المتحدة الأمريكية) تحت اسم منظمة مينسك (OSCE)، التي أعدت مقترحات لحل النزاع، لكن لم يوافق عليها أي من الطرفين¹⁶.

تجدد الصراع على كاراباخ في 12 يوليو 2020. أما الاتفاق، فجاء بعد قتال استمر ستة أسابيع بين أذربيجان وأرمينيا في ناغورني كاراباخ. نص الاتفاق على أن يحتفظ كل طرف بما استولى عليه من أرض في المعارك، بينما تكون أرمينيا ملزمة بإعادة السيادة على منطقة أغدام بحلول يوم 20 نوفمبر/ تشرين الثاني 2020، ومنطقة كيلباجار بحلول 15 نوفمبر/ تشرين الثاني 2020، ومنطقة لاشين بحلول 1 ديسمبر/ كانون الأول 2020 إلى أذربيجان.

كما ينص الاتفاق على نشر قوات حفظ سلام روسية على طول خط وقف إطلاق النار في قره باغ، وكذلك على طول ممر لاشين الذي يصل قره باغ بأرمينيا¹⁷.

¹³ Migdalovitz, The previous reference.

¹⁴ الخشيب جلال، مرجع تم ذكره سابقاً، ص 173.

¹⁵ David Babayan, **Karabakh conflict, historical legal and other aspects**, 21 Dar, N 1(7), 2005 (in Armenian)

¹⁶ Migdalovitz, previous reference.

¹⁷ محمد البقالي، نهاية الحرب بين أرمينيا وأذربيجان.. الربحون والخاسرون، الجزيرة العربية، 13-11-2020، تاريخ الاطلاع 6-12-2020، الرابط:

<https://www.aljazeera.net/news/politics/2020/11/13/%D9%86%D9%87%D8%A7%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%A3%D8%B1%D9%85%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A7-%D9%88%D8%A3%D8%B0%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%AC%D8%A7%D9%86>

المحور الثاني: تاريخ تطور العلاقة الروسية- التركية

تقوم العلاقات التركية الروسية تاريخياً على أساس التنافس على مدى التاريخ. ومع انهيار الإمبراطوريتين الروسية والعثمانية في بدايات القرن العشرين، سرعان ما شكّلت الحرب الباردة، وتَموضعُ الدولتين في كتلتين متخاصمتين، الأرضية لعودة العلاقات التركية الروسية إلى بيئة تنافسية من جديد. ففي تسعينيات القرن الماضي، تم البحث عن الأرضية للعلاقات التركية الروسية. ورغم أن العلاقات لم تتطور وفقاً للشكل المخطط له، فإن الطرفين يدركان أنه يمكن لهما أن يكونا على اتصال فيما بينهما، بمعزل عن أجواء الحرب الباردة. وقد اتّسمت هذه الفترة بمحاولات إحداث نفوذ في القوقاز وآسيا الوسطى اللتين تشكّلان ساحة اهتمام البلدين في الأغلب¹⁸.

تطور العلاقات التركية- الروسية قبل الحرب العالمية الأولى

اتّسمت العلاقات العثمانية- الروسية منذ وقت مبكر بطابع التوتر والعداء، حيث قامت سلسلة من الحروب بين الدولتين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، انتهت بتحقيق الروس مكاسب إقليمية عديدة على حساب العثمانيين. وبعد الحرب العالمية الأولى، وقعت روسيا القيصرية وفرنسا وبريطانيا اتفاقية القسطنطينية السرية سنة 1915، التي منحت بموجبها المضائق التركية ومناطق من الأناضول للروس، إلا أنه بعد نشوب الثورة البلشفية سنة 1917، تخلت روسيا القيصرية عن أطماعها التوسعية وساندت الحركة الوطنية التركية في الأناضول بقيادة "مصطفى كمال أتاتورك" سنة 1919، وقام الجانبان بتوقيع معاهدة صداقة وتعاون سنة 1921، حيث أصبحت الأساس للعلاقات الودية بينهما حتى نهاية الحرب العالمية الثانية¹⁹.

العلاقات التركية- الروسية بعد الحرب العالمية الثانية

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وخروج روسيا السوفيتية منتصرة، وبروزها كقوة عظمى مهددة لاستقرار تركيا، تميزت العلاقات بينهما بالتوتر، حيث طالبت روسيا تركيا باسترجاع بعض المناطق، وإقامة قواعد عسكرية في منطقة المضائق، إذ أثارت هذه المطالب مخاوف تركيا، ومنذ الستينيات، تطلعت تركيا إلى تنمية علاقاتها مع الاتحاد السوفيتي، حيث تبادل الطرفان الزيارات الرسمية من أجل تحطيم حواجز الشك، وإقامة نوع من التعاون الثنائي المشترك في المجالات الصناعية والتجارية، وشهدت السنوات من 1972 إلى 1975، اتساعاً في حجم التبادل والتعاون الاقتصادي، وتوجت سنة 1978، بالتوقيع على وثيقة سياسية أكدت على إحياء روح العلاقات

¹⁸ وزغور تَفكجج، العلاقات التركية الروسية ومعضلة ثنائية التعاون والأزمات، جامعة البحر الأسود، 2018، ص9.

¹⁹ حنا عزوز بهنان، تركيا والاتحاد السوفيتي 1980-1996، دراسة سياسية، مجلة دراسات إقليمية، العدد 16، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، 2009، ص2.

للجوار والصداقة، واستمرت العلاقات بين الدولتين في التطور والنمو حتى قيام الانقلاب العسكري في تركيا سنة 1980. في فترة الثمانينيات، عقد العديد من الاتفاقيات في الجانب الاقتصادي، وفي سنة 1983، عقدت اتفاقية اقتصادية أمدها ثلاث سنوات تضمنت توسيع حجم التبادل التجاري، وفي سنة 1984، وقعت الدولتان على اتفاقية تصدير الغاز لتركيا لمدة 25 سنة وأصبحت نافذة من سنة 1989²⁰.

العلاقات التركية- الروسية من 1991 إلى 2000

بعد تفكك الاتحاد السوفييتي أواخر عام 1991، كان متوقفاً أن تخضع العلاقات التركية الروسية لتحوّل ما، وأعقب تفكك الاتحاد السوفييتي اندفاع متبادل نحو نشاط دبلوماسي بين تركيا وروسيا، توج بتوقيع الطرفين على معاهدة الصداقة والتعاون (جمهورية تركيا وروسيا) سنة 1992، التي سعت لإعداد وترتيب أسس إستراتيجية لاستمرار تحسن هذه العلاقات، ومع نهاية الحرب الباردة، أصبحت العلاقات التركية الروسية مهمة لكلتا الدولتين في المحيط الإقليمي. وواجهت روسيا مطالب انفصالية في الشيشان، إضافة إلى مسألة قتال تركيا ضد عناصر حزب العمال الكردستاني المحظور، ما جعل العلاقات بين البلدين تمر بمرحلة من التوتر بين عامي 1995 و1999، حيث كانت روسيا تقدم الدعم السياسي لهذا الحزب، فيما كانت تركيا تقدم دعماً للمسلحين في الشيشان في قتالهم ضد الروس²¹.

ومع نهاية التسعينيات، شهدت العلاقات الثنائية بين البلدين تحسناً ملحوظاً في المجالات الدبلوماسية والاقتصادية، حيث تم التوقيع على سلسلة اتفاقيات، من بينها اتفاقية التعاون المشترك لمكافحة الإرهاب، واتفاقية تلزم الطرفين بإنشاء مشروع خط أنابيب السيل الأزرق.

العلاقات التركية- الروسية من 2000 إلى 2016

رغم وجود العديد من القضايا الخلافية بين روسيا وتركيا اللتين تعدان قوتين مؤثرتين، إلا أن العلاقات بينهما أخذت طابعاً تقاربياً، خاصة منذ 2004، حيث لعب البعد الاقتصادي دوراً مهماً في التأسيس لعلاقات إستراتيجية. وفي سنة 2008، تحولت روسيا إلى أهم شريك تجاري لتركيا، لا سيما في مجال الطاقة. إلا أن العلاقات عرفت توتراً عقب التدخل الروسي العسكري في جورجيا سنة 2008، فقد التزمت تركيا الحياد قدر الإمكان، ولم تقم بالمشاركة في العقوبات

²⁰ معمر فيصل سليم خوري، العلاقات التركية- الروسية من إرث الماضي إلى آفاق المستقبل، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، بيروت، أبريل 2014، ص8.

²¹ لقمان عمر محمود، تركيا وروسيا الاتحادية.. دراسة في العلاقات السياسية 2000-2009، مجلة دراسات إقليمية، العدد 21، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، ص4، 5.

المفروضة على روسيا بسبب الأزمة الأوكرانية، حيث انتقدت تركيا التدخل الروسي واستيلاءها على جزيرة القرم²².

المحور الثالث: التنافس التركي - الروسي في القوقاز

إن منطقة القوقاز تمتلك ثروات طبيعية هائلة، كالأراضي الزراعية الخصبة الصالحة لزراعة الحبوب والفواكه والخضار، والثروة الحيوانية الكثيفة من اللحوم والألبان، وسكك الحديد التي تربط بين شمال القوقاز وجنوب روسيا ووسطها، وكل هذه ثروات عظيمة لا يمكن الاستغناء عنها، إذ تشكل الجزء الأكبر من الدخل القومي الروسي²³.

تتشارك تركيا مع روسيا في النزعة لإحياء المكانة الإقليمية والدولية، إذ ترى تركيا أنها كانت ولا تزال دولة مركزية فاعلة بحكم موقعها الجغرافي المتميز الواقع بين القوقاز والبلقان والشرق الأوسط، إلى جانب أنها تطل على البحر الأسود وبحر قزوين والبحر الأبيض المتوسط، وتتحكم بمضيق البوسفور والدردنيل، لتشكل بهذا الموقع قلب المجال الجغرافي الأوراسي، ولتكون دولة عبور مميزة لموارد الطاقة عبر أراضيها. كما هو واضح، فإن سعي تركيا إلى لعب دور إقليمي جعلها تطمح لتكون المركز الإقليمي الرئيسي لنقل النفط والغاز من الدول المنتجة الأساسية في الشرق نحو أوروبا. وقد تجلّى ذلك في اتفاقها مع أذربيجان على نقل الغاز الطبيعي من حقل شاه دينيز عبر خط أنابيب الغاز العابر للأناضول عبر ميناء جيهان التركي، مع احتمال أن تصبح منفذاً للغاز الإيراني إلى أوروبا²⁴.

وسبب هذا تضارباً في المشاريع بين روسيا وتركيا في مجال الطاقة، فالأخيرة تعتبر المنطقة (بحر قزوين ومنطقة القوقاز) بمثابة الممر البحري والملاحي، يخترق البحرين الأسود والمتوسط ومنطقة القوقاز، لإمدادات النفط والغاز من آسيا الوسطى إلى أوروبا عبر خط باكو تيليسي - جيهان، الذي يعتبر أهم المحاور الجيوبوليتيكية بالنسبة لمصالح الدول الكبرى، خاصة الولايات المتحدة الأميركية، التي تسعى لإنجاح هذا المشروع في إطار التقارب الأميركي التركي، ويعد أيضاً كبديل للخط الروسي الممتد عبر أوكرانيا²⁵.

²² معمر فيصل، مرجع سابق، ص 9.

²³ طالب حسين حافظ، الصراع الدولي على القوقاز، مجلة دراسات سياسية، ع 23، مؤسسة بيت الحكمة، 2013، ص 143.

²⁴ قدورة عماد يوسف، روسيا وتركيا.. علاقات متطورة وطموحات متنافسة في المنطقة العربية، المركز العربي للأبحاث والدراسات، مايو ٢٠١٥، ص ٤.

²⁵ معمر فيصل خولي، مرجع سابق، ص ٤٨.

المحور الرابع: المواقف التركية-الروسية من صراع كاراباخ

الموقف التركي

تعود العلاقة بين البلدين إلى العام 1991، عندما اعترفت تركيا بأذربيجان. قبل ذلك، وقفت تركيا إلى جانب أذربيجان في صراعها مع أرمينيا في النزاع على ناغورني كاراباخ، وذلك في العام 1986، ثم تلت ذلك سلسلة من التفاهات والاتفاقيات التي تم توقيعها بين البلدين في العديد من المجالات. وكان أردوغان تعهد بدعم أذربيجان حتى النهاية، في حربها مع أرمينيا حول إقليم ناغورني كاراباخ، وذلك بعد الاشتباكات التي اندلعت بين الجانبين في العام 2017. وقال أردوغان في بيان آنذاك: "نصلي من أجل انتصارات أشقائنا الأذريين في هذه المعارك بأقل الخسائر الممكنة"²⁶.

كما تعول تركيا من جانب آخر في علاقتها مع أذربيجان آمالها على قطاع الطاقة والحصول على الغاز الرخيص الذي يتقل استيراده الميزانية التركية. وترتبط تركيا مع أذربيجان بمشروع أنبوب الغاز الطبيعي العابر للأناضول الذي تبلغ كلفته 8.5 مليار دولار، وهو يرتبط بأنبوب جنوب القوقاز الذي يضخ الغاز من حقل شاه دنيز الأذربيجاني في بحر قزوين عبر أذربيجان وجورجيا إلى تركيا. ويطلق على المشروع ككل تسمية ممر الغاز الجنوبي، وتبلغ كلفته الإجمالية 40 مليار دولار. ويرمي ممر الغاز الجنوبي لنقل الغاز لمسافة 3500 كيلومتر من بحر قزوين إلى أوروبا من خلال ثلاثة خطوط أنابيب متصلة، فيما يسعى الغرب إلى تقليل اعتماده على الطاقة الروسية²⁷.

فأنقرة لاعب أساسي ومهم في مسرح إقليم كاراباخ، حيث كانت الداعم الرئيسي والشريك الإستراتيجي لأذربيجان، حيث إن الهجوم الأخير على أرمينيا في كاراباخ ما كان ليحدث لولا الدعم والتشجيع من أنقرة، فقد زودت الأخيرة باكو بطائرات دون طيار، ناهيك عن الدعم الجوي والاستخباراتي. كما صرح الرئيس التركي رجب طيب اردوغان أنه يجب على أذربيجان ألا تتوقف حتى تتحرر كاراباخ بأكملها²⁸.

²⁶ إسلام عيادي، المصالح التركية في الصراع ما بين أذربيجان وأرمينيا، المركز الديمقراطي العربي، 2020/11/4، تاريخ الاطلاع 2020/10/3، الرابط:

https://democraticac.de/?p=69953&fbclid=IwAR1TTaJjWrkk0fm8ZCAaC_gLtJrkRXammZnkyjyPPLvuPk_yAF7pXtsARK5c

²⁷ إسلام عيادي، مرجع سابق.

²⁸ Aris Dimitrakopoulos, **By using Azerbaijan, Turkey tries to corner Russia in the Caucasus**, modern diplomacy, October 6, 2020, View date 3 nov 2020 link:

<https://moderndiplomacy.eu/2020/10/06/by-using-azerbaijan-turkey-tries-to-corner-russia-in-the-caucasus/>

الموقف الروسي

اتسم الموقف الروسي بعدم الوضوح المتعمد، ولم تظهر أي إستراتيجية أيديولوجية محددة وواضحة، وهو ما ينعكس على تناول وسائل الإعلام الروسية لهذا الصراع. وقد يترتب على اتخاذ أي إجراء ملموس بشأن حل أزمة كاراباخ وضع روسيا أمام تساؤلات من المجتمع الدولي فيما يتعلق بوضع المناطق المشابهة، مثل شبه جزيرة القرم وأوسيتيا الجنوبية وأبخازيا وغيرها. وبمقارنة تدخل روسيا في هذه المناطق وموقفها نحو كاراباخ، فالسبب الأساسي الذي دفع روسيا للتدخل بحسم في الحالات السابقة كان الخوف من خطر "التحول إلى الغرب"، واحتمال الوقوع في مواجهة مع الولايات المتحدة، غير أن ذلك السياق لا ينطبق على حالة النزاع الأرمني الأذربيجاني، ولا يتوقع أن يكون مثله، حتى أن التدخل التركي الحالي الداعم لأذربيجان لا يعتبر سبباً كافياً يدفع روسيا لشن حملات عسكرية لحسم الصراع²⁹.

أشارت روسيا إلى خطوطها الحمراء لأذربيجان وتركيا، أحدها أنه لا ينبغي المساس بحدود أرمينيا المعترف بها دولياً، ومن غير الواضح ما إذا كانت المحاولة الأذرية المحتملة لاستعادة ناغورني كاراباخ ستتخطى خطوطاً حمراء أخرى. من المحتمل أن يحدث ذلك، على الرغم من أن الرئيس فلاديمير بوتين قال إن الضمانات الأمنية الروسية لأرمينيا لا تنطبق على ناغورني كاراباخ، إذا تصاعدت الحرب، فسوف تضطر روسيا إلى التدخل إذا أصبح الصراع تهديداً وجودياً لأرمينيا³⁰.

الخاتمة

شهدت العلاقات التركية- الروسية العديد من التفاعلات في السنوات الأخيرة، تراوحت بين التعاون والتوتر، فالعلاقات بين البلدين تحكمها تراكمات تاريخية وجغرافية ومصالح جيواستراتيجية، فعلى الرغم من الشد والجذب الذي رافق مسار العلاقات التركية- الروسية على مر التاريخ، إلا أن الأخيرة دخلت بداية من 2002، مرحلة جديدة منذ وصول الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" إلى السلطة في روسيا، رافقه وصول حزب "العدالة والتنمية" للحكم في تركيا، حيث شكل هذا فرصة

²⁹ اليسا شيشكين، سياسة اللاحسم: لماذا لم تتدخل روسيا في صراع ناغورني كاراباخ؟، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 14 أكتوبر، 2020، تاريخ الاطلاع 3 نوفمبر 2020، الرابط:

<https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/5852>

³⁰ Nicu Popescu, A captive ally: Why Russia isn't rushing to Armenia's aid, 8 October 2020, view on 19 nov 2020, link:

https://ecfr.eu/article/a_captive_ally_why_russia_isnt_rushing_to_armenias_aid/?fbclid=IwAR3lzQrOgEYsBajTkFdR1JqGZO7eCcq9DX5nuHDstJC6bXBECrtYwK2MCnk

للبلدين لإعادة النظر في طبيعة علاقتهما، كونهما دولتين كبيرتين متجاورتين، وتبنيان إستراتيجية موحدة متمثلة في إعادة الدور الفاعل على الساحة الدولية وإعادة إحياء المكانة التاريخ.

كما أن كلاً من المشروعين، التركي والروسي، مستقل وقائم بذاته، ليس بالضرورة أن يتكاملا ولا أن يتواجهها، على الرغم من نقاط التماس بينهما في القوقاز وبعض الشرق الأوسط. إلا أن المرحلة الجديدة للعلاقات بين روسيا وتركيا ستعكس مدى براغماتية الرئيسين: أردوغان وبوتين، فالدراسة خرجت بقضية أساسية، وهي أن كلاً من تركيا وروسيا تستبعد المواجهة المباشرة في القوقاز وتحديداً في منطقة كاراباخ لحساسية موقعها الجغرافي وأهميتها في مجال الطاقة والغاز.

المراجع:

- (1) الخشيب جلال، إقليم ناغورني كاراباخ... بين الإرث التاريخي القوقازي والحسابات الإقليمية التركية- الإيرانية، مجلة رؤية تركية، ع 193، صيف 2016.
- (2) حنا عزوز بهنان، تركيا والاتحاد السوفيتي 1980-1996، دراسة سياسية، مجلة دراسات إقليمية، العدد 16، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، 2009 .
- (3) معمر فيصل سليم خوري، العلاقات التركية- الروسية من إرث الماضي إلى آفاق المستقبل، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، بيروت، أبريل 2014.
- (4) لقمان عمر محمود، تركيا وروسيا الاتحادية.. دراسة في العلاقات السياسية 2000-2009، مجلة دراسات إقليمية، العدد 21، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل.
- (5) طالب حسين حافظ، الصراع الدولي على القوقاز، مجلة دراسات سياسية، ع 23، مؤسسة بيت الحكمة، 2013.
- (6) قدورة عماد يوسف، روسيا وتركيا.. علاقات متطورة وطموحات متنافسة في المنطقة العربية، المركز العربي للأبحاث والدراسات، مايو 2015.
- (8) معمر فيصل خولي، العلاقات التركية الروسية من إرث الماضي إلى آفاق المستقبل، الطبعة الأولى، منشورات المركز العربي للأبحاث والدراسات، بيروت، 2014.
- (9) عماد زاهراء، مستقبل العلاقات التركية- الروسية مجالات تقارب وقضايا خلاف، كلية الحقوق والعلوم السياسية الإدارية، الجامعة اللبنانية، 2018.
- (10) كوتشاك محمد، العلاقات التركية الروسية، مجلة رؤية تركية، ع27، شتاء 2017.

مواقع إلكترونية:

1) اليسا شيشكينا، سياسة اللاحسم: لماذا لم تتدخل روسيا في صراع ناغورني كاراباخ؟،
المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة،

14 أكتوبر، 2020، الرابط:

<https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/5852>

- 1) Migdalovitzk,(July 9, 2003) , Armenia–Azerbaijan Conflict, congressional research service the libaray of congress, link:
https://www.everycrsreport.com/files/20030709_IB92109_040563c72e8a3154cf3834fbf6e8952da3e0040b.pdf
- 2) Alvard Sargsyan, (27 Dec 2018),The Nagorno Karabakh Conflict: An Inside View, link; <https://stratpol.sk/the-nagorno-karabakh-conflict-an-inside-view/>